هات الكتف لنأكله !!

قرأ أمير النحّال صفحة ملعبه ببراعة وبإبداع لم يقدمه كل الذين سبقوه على كرسى المدير المالي، فمنذ لمسته الوقحة التى قدّم بهَا نفسه لمجتمع الشركة وأكد بهَا جدارته عند رجال النظام وهو ما زال آخذ فى الصعود.

وهى لمسة أسماها بعضهم «القشة التى قصمت ظهر البعير»، فلم يكن سالم شاهين الجالس على كرسى رئيس مجلس الإدارة قلقًا ومتذمرًا، أن يجد أنسب من واقعة إهانته على يد موظف صغير ذريعة لمغادرة هذا الكرسى.

يومها قال لأخيه خيرى ولمن حولهما من أصدقاء جلسة شبرد الناعمة:

ـ «**خذونى معكم يارجال الاستثمار القدامى، نسفح الوقت الطويل على أنغام الملل، لأسمع من بعيد صوت المسامير الأخيرة التى تدق فى نعش شركة أخى خيرى.. شركة المقاولات المتحدة.. خيرى شاهين سابقًا..**».

ولم يكن اللواء مهندس حامد شبراوى بحاجة إلى إخفاء دناءته وهو يستوى على عرش الرئاسة، كما لم يكن بحاجة للبحث عن رجل أبرع من أمير النحال ليغذى نهمه، فقد وجده جاهزًا ولديه مشروع مماثل، خاصة عندما فاحت فى مصر حالة تربح فاحشة ومعلنة على مرأى من الحاكم والدولة والشعب، فكيف يكون عثمان أحمد عثمان وزيرًا للإسكان والتعمير ورئيسًا لهيئة الاستثمار وهو نفسه المقاول والمستثمر متعدد الشركات التى حصرها المراقبون بأكثر من أربعين شركة؟ ألم يمنع القانون مثل هذه الازدواجية وهذا التربح وهذا الخلط؟

وكما قال السيد النحّال لفتيان:

«**ياعم انس كل هذا الهجص فالسادات فتح البلد، وأكتوبر قلبت الموازين**» قالها حامد شبراوى لأمير النحّال بشكل آخر:

ـ «القوانين فى إجازة طويلة.. بل لعلها قد ماتت.. ومرتباتنا الهزيلة تدخل ضمن هذه القوانين.. وما يتقاضاه رئيس مثلى بشركة كهذه فى دولة محترمة هو الحد الأدنى الذى سأمنحه لنفسى وبقانونى الخاص إلى أن تعدّل الدولة قوانينها وتحترمنا وتحترم نفسها».

وغمغم أمير: «أين الكتف لنأكله؟.. هات الكتف لنأكله».

وهكذا صارت السرقة احترام للنفس، وتقدير للذات، ووضع الحق فى نصابه، وإعادة ميزان العدل المعوج إلى مجراه الطبيعي، وصارت النسبة السرية المفروضة على الموردين ومقاولى الباطن تذهب إلى حامد شبراوى قبل تحصيل الرسوم والضرائب المقررة قانونًا، فيدفعها الرشاة إلى أمير الذى يوردها لسيده ولا ينسَى نفسه..

ولم يكتف الوزير المستثمر أن يصبح نموذجًا لوأد الشفافية، لكنه منح اللصوص سلاحًا جديدًا، فها هو حامد شبراوى يستدعى رجله المدلل «أمير النحّال» على عجل ليزف إليه هذه البشرى:

ـ «الوزير أطاح بالرقابة الإدارية.. أقنع الرئيس أنه جهاز مُعطّل لسوق واعد يعوزه الانطلاق، فنسفها السادات».

وابتسم أمير بتخابث:

ـ «سمعت أحد المحتجين على هذا القرار يقول إنه قرار حشّاشى.. تم اتخاذه فى جلسة حشيش وفى المسافة الفاصلة بين تعميرتين..»

فقهقه حامد شبراوى بمرح:

«والآن عرفت معنى كلمة التعمير.. ووزارة التعمير.. ووزير التعمير..»

أما ما كتبه صحفى «نحّالى» مشيدًا بهذا القرار، فقد أثلج صدور الغربان الجائعة، ومنحهم لافتة يستظلون بظلها لتحميهم من لهب الحقيقة:

«فالرقابة لم تكن سوى صرحًا من صروح البلاَدة والاصطياد.. والإطاحة بمثل هذه الصروح الزائفة هى الهدية المثلى التى أهداها الرئيس لسوق العمل الذى يعوزه الانطلاق.. فالشرفاء تكفيهم رقابة الذات التى تنبع من ضمائرهم، وليسوا بحاجة إلى رقابة من خارج ذواتهم السوية»

وصفّقا معًا: حامد شبراوى وأمير النحّال لبلاغة هذا التحليل، وأيقن أمير أن هذا الصحفى الصاعد يملك أسباب الرفعة وسيمسك بها

«فيما بعد صار رئيسًا لتحرير صحيفة قومية».

أما السيد النحّال وفتيان فتيان، فلم يرتاحا لما وصلهما من أن الشيخ فريد هنيدى لم يكتف بمهاجمة هذا القرار وإنما ضرب بهما المثل من فوق منبره فأتى على واقعة اللحوم الفاسدة التى دخلت البلاد على أيديهما.. ثم الصلصة المنتهية الصلاحية.. وقال:

«إذا كان هذا قد حدث فى وجود الرقابة الإدارية، فماذا سيحدث بعد الإطاحة بهذا الجهاز المتربص للصوص»، ثم تساءل:

«كيف يمكنك ياسيادة الرئيس وأنت رب المنزل أن تغفل قيمة المبيد الحشرى فى منزل ملىء بالحشرات؟»

ويتعجب فتيان فتيان من أن الشيخ فريد هنيدى لا يأتى على ذكر أمير النحّال فى مسلسل هجومه عليهما: ـ هو والسيد ـ كشريكين فاحت رائحتهما فى سوق العفن.. واكتشف فتيان أن الأضواء المسلطة على السيد النحّال كناشط سياسى هى نفسها التى كشفته كلاعب لا يهمد فى سوق المال.

ثم اكتشف أن أميرًا يجيد الكتمان ويلعب فى ظلام أحاط به نفسه، يكفى أنه لا أحد فى البلد يعلم أنه صار من كبار الملاك ويمتلك مزرعة هائلة يعمل بها رأفت عبد الواحد، حتى رأفت نفسه تعامل مع هذا الأمر بكتمان لا يدرى إن كان نابعًا من داخله أم بواعز من رب عمله..

فلم يكن فى ظن أمير أن يقلد سيده حامد شبراوى الذى حول أمواله إلى مستشفى على شاطئ النيل فى المعادي، وأن يقلده فى استغلال إمكانيات الشركة فى بناء هذا المستشفى، فجرارات الحديد والأسمنت وسائر مواد البناء المتجهة إلى مشاريع الشركة ناحية حلوَان كثيرًا ما يستريح بعضها عند نيل المعادى لتفرغ حمولتها بالمستشفى ليقول سائق ما لزميله:

«لم أكن أعلم أن حلوان قريبة إلى هذا الحد..»

ذلك أن الرجل أمين مخزن حلوان وضع توقيعه على استلام الشحنة وهو فى المعادى.. وإثر هذه اللكزة الموحية يسرع هذا الأمين إلى «أمير بيه» فيهمس له بالمطلوب:

ـ «اكسر عين هذا السائق.. وزميله»

فقد صارت من مهامه الرئيسية: كسر العيون.. وملء البطون.

وتدرب فى المستشفى التى بناها لحامد شبراوى على أعمال وتصرفات وعلاقات

وأدوات صار يستخدمها وهو يقيم مزرعته بالخطاطبة.. وصارت الجرارات المتجهة إلى الإسكندرية تختصر مسافتها بالخطاطبة لتفرغ حمولتها هناك.. وصار أمناء المخازن يوقعون باستلام التشوينات تحت ظلال الأشجار وحول موائد الطعام الهنىء يشاركهم به السائقون والعمال وكلهم منهمكون بجد وإخلاص فى عمل يعلمون جميعًا أنه لا يتسم بالشرعية، فهذه الفيلا وهذا المسبح وهذا السور وكل هذه الطرق المرصوفة والبرجولات المظللة تئول إلى أمير بك ابن الحسب والنسب الذى يقال إن لشقيقه النائب الشهير السيد النحّال قصرًا كبيرًا فى مسقط رأسه.. وقصرًا مثله فى ضاحية الزيتون..

* * *

خلف بابه المغلق انفرد أمير بمهندس «نحّالى» صاعد، وسأله:

ـ «خط المجارى الذى تقوم بتنفيذه.. كم طوله؟»

ـ «عشرة كيلو مترات»

ـ «ماذا يحدث إذا اعترضت مسار الخط هضبة ممتدة طولها كيلو متر»

ـ «يجب إزالتها..»

ـ «إذن، ضع لى مقايسة أعمال إضافية لبنود غير منظوره لأعمال قطع وتحميل وترحيل فى حدود مليون أو أكثر..»

وعلى الفور فهم المهندس أن عبقرية النحّال التآمرية أتت بإبداع جديد.. بنود وهمية.. لعبة مستندات يتم ترتيبها مع مهندس الحكومة والمقاول ومهندس الشركة.. وكل هؤلاء لهم النصف وحامد بك وأمير بك لهما النصف.

وخرج المهندس النحّال يردد فى فرح:

ـ «أين الكتف لنأكله.. هات الكتف لنأكله»

* * *

ولما كان حامد شبراوى فى غفله يتلهى بلياليه الغرامية فيما بين شقة وعوامة ويتابع أرصدته التى تعلو فيما بين الداخل والخارج.. فلم يأته خبَر المزرعة كما لم يأته سر البنود الوهمية ومكسبها المضاعف قياسًا بالرشا.. وكان أن همست له بكل ذلك أوملة طروب، اصطادها فى وثبة شائقة بدأت بلغة العيون، ثم حديث صريح كانت البذاءة هى جواز مروره إلى منزلها

فسرير نومها، ثم صارت مصدر أخباره التى راحت تفاصيلها تلقى قرب فخذيه..

فوجئت الشركة برئيسها يصب جام غضبه على صديقه أمير النحّال، وحبسوا أنفاسهم انتظارًا لما سوف تثمر عنه معركة الكبار.. فالرئيس يطلب مراجعة ملفات بعينها.. ويستدعى مدراء مواقع بعينهم.. لم يأبه أمير وارتدى ثوب اللامبالاة، لكنه تحرك خلفه ذات ضُحى دون أن يراه وتأكد أن غريمه الجديد يهنأ بوقته مع إحداهن فى شقة الحظ والمؤانسة، وبعد دقائق من ترتيبه أمرًا ما مع البواب المتمتع دومًا بكرمه تلقت زوجة حامد شبراوى الغافلة هاتفًا من مجهول يؤكد لها أن بعلها الكريم يسبغ كرم فحولته الآن على عاشقة فى عمر بناته بوكره العتيد الكائن بهذا العنوان.

ـ «وسأسدى لك يامدام خدمة لا تقدر بمال، هناك مفتاح للشقة فى انتظارك عند البواب».

ـ «يبدو أنك شريك له واختلفتما وهذا مفتاحك.»

ـ «لقد سرقته من الفتاة التى سرقها منى زوجك.»

ـ «آه.. فهمت.. وهذا سر انتقامك منه.»

ـ «وأنت سوف تنتقمين لى.»

ـ «بل سأجعله يندم على وجوده فى الحياة.. الكلب..»

وعندما لم يصل السيد اللواء مهندس حامد شبراوى رئيس مجلس إدارة شركة المقاولات المتحدة إلى مقر عمله فى صباح اليوم التالى لم يلتفت أحد إلى ذلك، لكنه فى صباح اليوم الذى يليه جاءت الأنباء تقول إن المذكور رهن الإقامة بغرفة العناية المركزة بمستشفى المعادى:

ـ «لماذا؟.. ماذا حدث له..»

ـ «يقولون إنه يعانى من صدمة عصبية، أفقدته النطق.»

وفى اليومين التاليين لم يتعمد أحد إهماله أو عدم السؤال عنه، فقد اشتعل القطر المصرى كله بانتفاضة الجياع الذين جابوا الشوارع وأحرقوا الممتلكات والمركبات، وصار هذا هو التاريخ المكتوب لاحتراق حامد شبراوى.. فها هو رئيس القومسيون الطبى يوقّع تقريره الطبى القاضى بإصابة المذكور بشلل نصفى يمنعه من مواصلة العمل، وأسفل التوقيع تاريخ ١٩/ ١/ ١٩٧٧م.